تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها

بقلم الاديب توما افندي كيّال

١ التجارة

قد لعبت مدينة صيدا دوراً مهماً في الاجيال الماضية نظراً الى ما حازته من الشهرة الواسعة بتقدم تجارتها وعلاقاتها مع امهات المدن والممالك العديدة فاذا بحثنا عن حالتها في السنين السابقة للتاريخ المسيحي نراها وصلت الى درجة من العمران حسدتها عليها اكبر مدائن المعمورة فكانت محصولاتها التجارية والزراعية تُحمل الى مسافات بعيدة على مراكبها الشراعية الذائعة الشهرة وقد بقي لها اهمية تُذكر في الاجيال المتوسطة لانها كانت مقصودة من التجار الاوربيين الذين كانوا ينقلون قسماً من منسوجاتها الى بلادهم. وبقيت هذه المدينة محطّ رحال كبار التجار من الاوربيين والوطنيين الى اوائل الجيل الماضي اذ كانت ميناها تقريباً الميناء الوحيدة لبلاد سورية. ومن ذلك الوقت أصيبت بعض الانحطاط ثم اصبح عليها في حالة من التأخير لا يسبق لها مثيل ولم تتقدم قواها الا من بضع سنوات اي من الوقت الذي فُتحت بينها وبين بعض المدن السورية طرق المواصلات ومَن تطلع على حالتها الماضية (اي من عشر سنوات الى الان) يرى تقدماً مهماً في حالتها التجارية والزراعية والصناعية

ومما زاد تجارة صيدا نحسناً تواردَ الاهلين اليها لاسيما القائمقاميات والقضيات المجاورة نظراً الى تقدم تجارتها البحرية والبرية ولاتساع احوالها بالارباح ولو زهيدة واكرامهم لتجار الغرباء ولوجود عمال بها مشتهرين في الصنائع كافة وهذا يتردد الى صيداء لمشترى احتياجاتهم منها سكان قضائها وانباطية وجديدة مرجعيون وحاصبيا وراشيا وقسم من اهالي صور وبلاد بشارة ويقصدها من لبنان اهالي قضاء جزين وقسم معتبر من قائمقامية الشوف ومديرية دير القمر. فاذا كان معدّل عدد سكان المحلات التي ذكرناها مائتي الف نسمة فقط بان حينئذٍ للباحثين عما يلحق مدينة صيداء من الارباح اذا بقيت الحال على تقدمه متواصل في الاشغال التجارية. ومن الجداول الآتية ومقابلتها مع ما عبر من السنين تتضح حقيقة الامر

٢ الصناعة

عادت الصنائع الى صيدا تدريجاً وها انا نراها تتقدم من يوم الى آخر وقد زادت اقبالاً في عامنا الحاضر ١٩٠٧ فاذا بحثنا عن المشتغلين بعمل السفن الشراعية من مواطنينا البارعين وجدنا انهم انتشروا هذا الفن حتى ان صيدا اصبحت معقودة من الشهرة السورية وخلافها في الاشغال المذكورة وقد تم بها مؤخراً عمل ثلاث سفن شراعية يتراوح محمول الواحدة منها من ١٢٠ الى ١٤٠ طناً اما السفن الصغيرة فقد أنجز منها عدد ليس بالقليل وكلها غاية في الاتقان والمتانة. اما صناعة الترميد فقد رواجت سوقها كثيراً لانهُ فتح في العام الماضي معمل لصنعه ههنا فاقبل على مشتراه اهالي المدينة والمدن المجاورة وقد زادت رواجاً في المدة الاخيرة صناعة الجلود المهيأة في مدابغ المدينة لانهُ صدر منها قسم كبير الى بيروت وقبرص. واخيراً بان للجميع ان باقي الصنائع كالنجارة والحفر والحدادة قد اصبح اربابها قادرين على اتقانها فلذا يقصدهم كثير من اهالي المدن الكبيرة لعمل ما يحتاجون اليهِ وقد ازداد في العام المنقضي عدد المشتغلين بالحلويات فاتقنوها. وبالاختصار ان الصنائع على وجه العموم سائرة في مدينتنا في حالة التقدم والازدهار.

٣ الزراعة

خفَّت ولله الحمد في السنة المنصرمة الهاجرة الى الديار الاميركية لان اهالي بلادنا بحثت عن الطرق المؤدية لنجاحها فرأت بأن الهاجرة قد سببت لها اضراراً جمة فلذا عدلت عنها وقام فريق من السكان يحرض الفريق الآخر مشجعاً اياه على الاهتمام بامر الزراعة

اما الهاجرة فانهُ لأمر مقرر بأنها اضرَّت بمصالح كثيرين من اهالي بلادنا وانتا بضربات كثيرة لما فوائدها فهي قليلة جداً ولا تُذكر اذا قابلناها مع الاضرار الآتية منها. ها ان كثيرين من الهاجرين عادوا في هذه السنين الاخيرة الى اوطانهم حاملين الينا الامراض الوبائية كالسل والامراض الزهرية والجلدية ولم يكتفوا بحملهم ما ذكرنا من الاوبئة حتى اتوا بضربة للمزروعات بحملهم بعض نباتات موبوءة ألا وهي ضربة جديدة للبرتقال هذا ولولا تدارك الحكومة السنية لكان تفاقم امرها وتعاظمت اضرارها. وبالحقيقة ان الهاجرين الذين قصدوا اميركا لم يعد منهم الا النذر القليل

بدراهم جُمعت بأتعاب ومشقات سنوات طويلة فلو صرفوا اوقات شبيبتهم الثمينة في وطنهم ولشتغلوا بحراثة اراضيهم الخاصة أو بالاجرة لكانوا حصّلوا اكثر مما جمعوهُ هنالك بالذل والعار. هذا فضلاً عن الاضرار الادبيّة المتأتية من المهاجرة فترى الاب يذهب ويترك امرأة واولاداً صغاراً لا معين لهم بعد ان يكون باع او رهن ما ورثهُ عن اجداده فيذهب والامال تسكرهُ وعبة المال تخدعهُ والغيرة تحركهُ الّا انهُ عند وصوله الى تلك الديار يلعن من كان سبباً لتركه وطنهُ وعائلتهُ فيندم ولاتَ ساعة الندم يعيش مغروراً بعد ان يكون ذاق مع اهله لذّة العيش العائليّة فان كان من اصحاب الشقة يعيش هنالك في التقتير الزائد موفراً بعض دريهمات لعائلته المسكينة المتضورة جوعاً. اما الاعزب فيصل الى بلادٍ تُحبب فيها الاشراك العديدة لمن يعطي النفس هواها فيعيش عيشة غير مرتّبة يخسر بها دينهُ ودنياه ويعود بعدئذٍ الى بلاده مريضاً نحيلاً صفر اليدين. اما الذين يموتون هنالك في حالات الشقاء او تنقطع اخبارهم تماماً فهم كثيرون وترى دائماً الجرائد الاميركيّة والمحليّة ملأى من اخبارهم المحزنة. وان قال قائل: لم ترَ يا هذا زيداً عاد الينا بالوف من الليرات. ولكن بالله قل لي من اي مدينة او قرية هو ذلك المهاجر فبعد ان تكون اوفقتني على حقيقة امره لسردت عندئذٍ اسماء ٥٠ او ٦٠ شخصاً على الاقل من تلك المدينة او القرية عادوا الينا وايديهم فارغة من الدراهم ولم ينالوا في تلك الاقطار الّا ما يكفيهم لسد حاجتهم الضروريّة اما من بقي منهم هنالك فمات حزناً وقهراً. فالنتيجة ان منافع المهاجرة قليلة جداً اما اضرارها فمدينة لا تُحصى. والآن فلنعد الى بحثنا الاول

من المعلوم ان اراضي سورية المشهورة منذ القدم بحسن تربتها وكثرة خيراتها قادرة على ان تقوم بوفد اهاليها وتزيد عنهم بشرط ان يعتنوا بامرها ويعتنوا بحراثتها فالارض المفلوحة في جهاتنا والتابعة لمدينتنا تنيف عن ١٧٠,٠٠٠ هكتار والباقية دون ثلاثة تزيد على هذه اضعافاً فليتعاون الكل على العمل في الارض لانّ بها حياتهم وسعادتهم ونجاح بلادهم

(البرتقال والحامض) كانت ارساليتهُ الى الخارج اقل من ذي قبل وسبب ذلك متأتٍ عن قلة الطلب عليهِ كالمعتاد من البلاد الروسية فقد وُضعت ضريبة مهمة على الصناديق المرسلة الى ثغورها لكن الاهالي عزمت اذ ذاك على تصديره الى داخليّة

ولايتي بيروت والشام فتصرّف منهُ كثير باسعار موافقة وعملهم في المستقبل يعدلون عن ارساله الى الخارج

(التوت) قد كان موسم الشرانق غاية في الاقبال في اتمام القاير رغماً عن اضرار الصرصر (الجيز) وقد رأينا من مدّة سنات من الصرصر المذكور منتشرة على الطرقات ما بين القرى القريبة من المدينة فاذا لم يتداركه ارباب الزراعة بهذا الامر ويتمّ له فتكون حينئذٍ لا سمح الله ضربة قاضية على الملاكين في هذه السنة . وعلى ما ظهر لنا ان البرد الشديد يضرّ به كثيراً وتيبت اغلبهُ لانهُ منذ سقوط الامطار الاخيرة والشتاء البرد اختفى تماماً ولم تعد نرى اثراً له . اما التوت فقد زرعت منهُ الاهالي الوفاً في القرى المجاورة وقد نشطهم على ذلك ارتفاع ثمن الشرانق في الموسم الماضي

(ماء الزهر) لم يُستخرج منهُ اقلّ من العادة وكانت اسعاره مرتفعة نظراً الى قلة الزهر وقد صدر منهُ الى الخارج قسم جزئية خصوصاً الى بيروت لانهُ استخرج بها كميات كبيرة في معمل الخواجات موريل ومطر وبيع باسعار نخسة الا ان فرقاً كبيراً بين المستخرج هنا وهناك في الرائحة والطعم والجودة

(التين) صدر منهُ اكثر من العادة الى الاسكندرية ومنها الى بلاد النمسة حيث يستخرجون منهُ مواد سكرية وكحولية

(العسل) كان به نقص مهمّ في هذه السنة لان الاهالي اهملت امر الاعتناء بتربية النحل اما اسعاره فكانت عالية جداً ووجوده نادراً

(الرمان) قد كان هذا الصنف في سنتنا الماضية من احسن السنين اقبالاً وقد زادت ارساليته الى الخارج والداخلية

(الانكدونيا) لم يكن موسمهُ ذا اقبال وقد ظنّ تجارنون بانهُ حدث في غلّته نقص ٢٠ في المائة في سنة ١٩٠٧ وسبب ذلك شدة هبوب الارياح في ايام الخريف اي وقت عقده وسقوط البرد قبل قطفه بقليل

(اللحم والسمك) تمالت اسعار اللحم كثيراً فبيع الرطل منهُ باربعة وعشرين غرشاً الامر الذي لم يسبق لهُ مثيل . اما الحكومة المحلية والبلدية فلم يضربا على ايدي الجزّارين بل تركوهم وشأنهم واذا لم يردعهم رادع عن اغتنام فرصتهم يوصلون الرطل الى ٣٠ غرشاً . اما الصيادون واصحابهم سماسرة السمك فاقتدوا بمثل الجزارين وحذوا

حذوهم لا بل اخذوا الفوز عليهم فرفعوا اسعار الاصناف الى حدّ فاحش مدعين بان قلّة صيت ارتفاعاً بسعره (كذا)

(الغلاء) قد كانت سنة ١٩٠٧ من السنين الشديدة الغلاء اتزلت في الاهالي ضيقاً عظيماً لم تره منذ ٣٠ سنة فارتفعت في اثنائها اسعار الحبوب والمأكولات رغماً عن الكميات الكبيرة المخزونة من الحنطة في ايدي بعض الملاكين والتجار ولم تزل الى الان في حواصلهم الّا ان الحكومة السنية خففت عن الاهالي شر هذا الضيق فاصدرت اوامرها للطاعة مانعة ارسال الحبوب الى الخارج فبخبت اذ ذاك الاسعار ولم تزل بهبوط متواصل وقد تعالت كذلك اسعار الملبوسات واجور المنازل والدكاكين والنتيجة قد عمّ الغلاء الاصناف كافة

فما تقدم بيان للمطالع اهمية التجارة في مدينة صيدا والاهالي متشوقة لان ترى افتتاح شعبة صغيرة للبنك العثماني في هذا القطر ترويجاً لمعاملاته التجارية فيسا حبذا لو اجيب هذا الطلب اصحاب النفي والامر واوفدوا من قبلهم من يبحث عن هذه المسألة المهمة فاني اظني يجدون حينئذٍ بان المدينة غاية في الاحتياج الى وجود شعبة بها. فالرجاء من الحكومة السنية ان تجيب طلب الاهالي هذا اذاً صافية فتريح بذلك دعاء الالوف من سكان هذه الجهات المشهورين بطاعتهم وتفانيهم في محبة ولي نعمتهم ومولاهم المعظم حفظ الله ملكه السعيد اجيالاً عديدة باتخر والاقبال

وها نحن نورد جدول واردات صيدا وصادراتها بياناً لتشبّه:

اهمّ واردات صيدا سنة ١٩٠٧

كز	٤٥,٥٠٠	صندوق من زوبة
سكر	١٢,٧٠٠	كيس بطريق الاسكندرية
سكر قوالب	٥٠٠	〃 〃 〃
ارز اكليزي	١٥,٠٠٠	〃 〃 〃
〃 رشيدي	٣٦,٠٠٠	قفة من رشيد
بن	٣٨٥	كيساً كبيراً بطريق بيروت
بن حبشي	٧,٥٠٠	كيلو من عدن
منّ	٣,٥٠٠,٠٠٠	〃 〃 بندرّي
طحين	٣,٧٠٠	كيس من بيروت

حبوب	٥٥,٠٠٠	كيلة من عكا وحيفا
حمص	٨,٩٠٠	حصيرة من الاسكندرية
فول السيد	٢٧,٢٠٠	رطل بطريق الاسكندرية
خشب	١٠,٣٠٠	متر مكعب من بر الاناضول وروسية ورومانية
جلود	٢٥٠	بالة من اوربة بطريق بيروت
أكياس فارغة	٧,٦٠٠	كيس من الهند بطريق اسكندرية
بين مكاري	١,٢٠٠	سحارة من عكا وحيفا
بين تشتوان	٣٥٠	هدلة من ادرنة واستانة
تبغ	١٣,٨٣٧	كيلو من المعجم
دخان	١٨,٥٠٠	〃 من الاستانة
بلح	١,١٥٠	تنة بطريق الاسكندرية
كبس وتراب افرنجي	٦,٠٠٠	كيس وبرميل من فرنسة بطريق بيروت
مقددات وحلويات	١,٣٠٠	صندوق بطريق بيروت
اجواخ	١٢٠	بالة 〃 〃
اقمشة قطنية وحرائر	٨٥٠	〃 〃 〃
قزاز وقيشاني	٢٥٠	صندوق 〃 〃
قرميد	٣٠٠,٠٠٠	قرميدة 〃 〃

اهم صادرات صيداء سنة ١٩٠٧

شرنتي	١٠٠,٠٠٠	كيلو الى لبنان
〃	١٦٠,٠٠٠	〃 بطريق صيدا
تبغ يابس	٧٥,٠٠٠	〃 الى الاسكندرية
زيت	٥٠,٠٠٠	〃 〃 〃
زيتون	٣٥٠,٠٠٠	〃 〃 〃
زبيب	١٢,٠٠٠	〃 〃 〃
ماء زهر	٤,٠٠٠	〃 الى سورية ومصر والاستانة
انكدونيا	٢,٥٠٠	سحارة الى بيروت والشام الخ
دخان (تبغ)	٧٨,٠٠٠	اقة من صيدا وصور الى القنطار المصري
زمن	٩٠٠	قنطار الى بيروت والشام والقطر المصري
موز ارسل منهُ الى بيروت ولبنان ما قيمته ٣,٦٠٠ ليرة		
بيض	٦٠٠,٠٠٠	بيضة الى الاسكندرية
〃	٦٥٠,٠٠٠	بيضة من تفاه صيدا وبواسطتها الى بيروت
دجاج	١,٢٥٠,٠٠٠	طير من صيدا

برنقل وحامض	١٨,٠٠٠	حبة يومياً في وقت الموسم الى بيروت ولبنان وسورية
برنقل وحامض	٥٠,٠٠٠	صندوق الى الاستانة وروسية وانكلترة
سمسم	٣,٠٠٠	اقبل على مصر وعليه طلب كثير من اوروبة
جلود سمك	٣٥٠	ربطة الى بيروت وقبرص

بيان المراكب التي دخلت ميناء صيداء سنة ١٩٠٧

البخارية	محمولها طن	الشراعية	محمولها طن
عثماني ١٢٧	٣٧٩	٨٨١	٩,٧٩١
انكليزي ١٠	١٨,٦٤١	٠	٠
شاوي ١	٥٣٧	٠	٠
يوناني ٧	٧,٦٤٣	١	٣٩٩
ايطالي ١	١,٢٥٦	٠	٠
مكسيكي ٣	٥,٨٤٥	٠	٠
١٥٣	٥٩,٣٠١	٨٨٢	١٠,١٩٠

تربية دود الحرير

لصاحب العزة المير خليل بيزاده بك الشهابي

(الشرق) قد قرب موسم التزر في سواحل الشام ولبنان فيسرنا ان نبشر القراء بكتاب جامع لاصول هذا التزر صنفه احد فضلاء عمال الدولة السنية برخصة نظارة المعارف الجليلة ونشره في بيروت في المطبعة الاهلية وسماه « الروض النضير في تربية دود الحرير » وقد جمع في صفحاته الناطقة ١٥٠ عنوانا كل ما يتوط بهذه الصنعة فبحث في الباب الاول في اوصاف الدودة واحوالها. ثم في الباب الثاني في الخيز والفلجة (الشرقة). وفي الثالث في التربية. ويقسم كل باب الى فصول عديدة استوفى فيها جناب المؤلف كل ما يختص بالبزر وخواصه وصياغته من تاثيرات الجوية وتفريخه ثم باطوار حياة الدودة وطعامها من توت واوراقها والتدابير اللازمة لزيادة موسيقيا كما انه اتسع في تعريف احوال الخيز والتراشة وعليقها وفي تقييد وتركيبها وحاب واوصاف الحرير وتلوينه. فجاء لجود كتاب صنف في العربية في هذا الفن الذي منه يرتزق معظم اهل لبنان. ومما يزيده